التوجيه البلاغى
للمعيب من شعر امرئ القيس

دكتور

محمد أحمد أبو زيد

مدرس البلاغة والنقد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

اللهم إنى أعوذ بك من أن أضل زوراً ، أو أغشى فجوراً ، أو أكون بك ربى مغروراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد ،،،

فإن الناظر فى مؤلفات القدامى الذين هم مصابيح العلم ، يجدهم يأخذون على الشعراء مآخذ متعددة النواحى ، والشاعر - كما نعرف - ما سمى شاعرا إلا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ، وأنه لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بامتلاكه لأدوات هذا الفن التعبيرى ، وفى مقدمتها معرفة اللغة ، وامرؤ القيس واحد من هؤلاء الشعراء الذين تعددت مآخذ العلماء عليهم ، وقد أجمع أهل الأدب على أن امرأ القيس من شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية ، وأن أهل الجاهلية بلغوا النهاية فى الفصاحة والبلاغة ، والغاية فى الطلاقة والزلاقة ، وقد شهد لهم القرآن الكريم بذلك ، ولما كانوا لا يخالطون - فى الأكثر - غيرهم كانت أقوالهم فى اللغة حجة، وهذه الأسباب مجتمعة كفيلة بأن تدفع الباحث إلى النظر فى المعيب من شعر امرئ القيس ، ووزنه بميزان العدل إنصافا لمن وصف بأنه أشعر الشعراء .

فقمت بجمع هذه الشواهد من كتب الأدب والنقد المتنوعة ، وتوثيقها من الديوان والكتب الأدبية المعتمدة ، مشفوعة بوجه العيب فيها ، وموثقاً ثم بيان موقف الدارسين والعلماء من هذا النقد القادح ، بذكر التوجيهات التى تصحح استعمال الشاعر ، وتخطئة الناقد ، أو مشايعته ، مع مراعاة التقسيم العام الذى تخضع له نصوص البحث المتمثل فى بحثين ، الأول: نقد الألفاظ ، والثانى: نقد المعانى ، وراعيت الاختصار البعيد عن الإخلال ، والإسهاب المعارض للإملال ، ومن الله وحده أستمد المعونة والتوفيق .

دكتور/ محمد أحمد أبو زيد
المدرس بجامعة الأزهر

امرؤ القيس وشاعريته:

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة [١] ، يمانى النسب ، نزارى الدار والمنشأ [٢] . ولد سنة ١٣٠ق.هـ - وتوفى سنة ٨٠ق.هـ وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب والمهلهل التغلبيين " وأبوه صاحب الملك المتوارث فى كندة ، وجده قرين الملوك الصيد من لخم وغسان ، نشأ كما ينشأ مثله من أبناء الملوك ، فى بليهنة العيش ، ونعومة الحال ، ونال نصيبه الأوفر من اللهو والمجانة والفتون ، والتف حوله الأحداث والفراغ والمتبطلون ، وعاش معهم ما شاء الله أن يعيش ، بين الصيد والطرد والغزل والشراب ، ولم يفق مما فيه إلا على صوت من ينعى له مصرع أبيه ، فأراق الكأس ، ونبذ الشراب ، وفارق أخدان الصبا والشباب ، ثم حمل العداوة فى نفسه، وألى ألا يقر قراره، أو تنطفئ ناره، حتى يأخذ بثأر أبيه من قاتليه بنى أسد وأخذ يتنقل فى القبائل ، ويستنصر بالأفخاذ والبطون والعشائر "[٣]، إلى أن استنجد بقيصر ملك الروم، فـ " بعث إليه قميصا مسموما فتقرح منه جسده فمات " [٤] ودفن فى أنقره إحدى مدائن الروم .

أما عن شاعريته ، فهو يتبوأ المرتبة الأولى بين أصحاب المعلقات السبع ، وأجمع النقاد على رأس شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية ، ولما سئل الفرزدق : مَنْ أشعر الناس ؟ قال: أبو الفروح [٥] فهذه دلالة على مكانته فى الشعر، وأن الفرزدق يعرف له هذه المنزلة ، فهو فحل " إذا نعرف مكان السجود فى الشعر ، كما تعرفونه فى القرآن "[٦] .

وبلغ من مكانته فى الشعر أن بعض العلماء قصر الشعر فى الجاهلية عليه [٧] وقال الإمام على " فالذى لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر ؛ فإنه كان أصحهم بادرة

---

(١) نقائض جرول الشعراء ابن سلام الجمحى ص٥١ مطبعة المدنى .

(٢) العمدة ابن رشيق تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد ٩٤/١ط خامسة ١٩٨١م دار الجيل بيروت .

(٣) ديوان امرئ القيس تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ص٦ ط خامسة دار المعارف .

(٤) الأغانى ٨٩/١١ .

(٥) العمدة ٩٤/١ .

(٦) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ص٢٠ ، والموشح للمرزبانى ص٢٠ ، والعمدة ٩٤/١ ، وانظر: الأغانى تح/ محمد أبى الفضل إبراهيم وآخرين ٨٩/١١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص٧٥ ، والعمدة ٩٤/١ .

(٧) ذكر ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء ص٥١ ، والموشح للمرزبانى ص٢٠ ، والعمدة ٩٤/١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص٧٥ أن بعض العلماء قصر الشعر فى الجاهلية على أربعة هم: امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ، وزاد بعضهم: طرفة ، وعنترة ، والحارث بن حلزة ، فالجاهلى فحل ، والمخضرم فحل ، والإسلامى أو فرزدق ، وجرير ابن الخطفى " العمدة ١٠٠/١ .

وأجودهم نادرة " [١] فالإمام على يصف شعر امرأ القيس بالطبع ، حيث لا تكلف فيه ، وهذا سر تقديمه على شعراء عصره ، وقال قدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ): " وإنما فضل امرؤ القيس - وهو مَنْ هو - لما صنع بطبعه ، وعلا بسجيته ، عن غير طمع ولا جزع " [٢] . وقال ابن رشيق: " ليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى فى النفوس " [٣] وقدمه على غيره من الشعراء لما لكلامه من الحلاوة والطلاوة ، والبعد عن السخف والركاكة [٤] وعن أبى عمرو بن العلاء قال: كان امرؤ القيس ينازع كل من قيل إنه يقول شعراً [٥]، وقال عمر بن الخطاب ﷺ للعباس بن عبد المطلب - رحمه الله - وقد سأله عن الشعراء: امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر ، فافتقر عن معان عور أصح بصر ، [٦] وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله ﷺفقال:"هو قائدهم وصاحب لوائهم" [٧] وفى رواية:" أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار" [٨] قال ابن رشيق:" يعنى شعراء الجاهلية والمشركين "، قال دعبل بن على الخزاعى: ولا يقود القوم إلا أميرهم " [٩] .

وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ، لأنه قيل أول من لطف المعانى

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجنى ٣٧٧ ط تونس ١٩٦٦م المطبعة الرسمية ، نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر تح/ محمد عبد المنعم خفاجى ص٢٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ، العمدة ٤١/١ ، ٤٢ .

(٢) نقد الشعر ص٢٣ .

(٣) العمدة ٩٨/١ .

(٤) ينظر: العمدة ٩٣/١ .

(٥) الثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد القاهر تح/ محمد خلف الله أحمد ، د / محمد زغلول سلام ص٩٥ ط خامسة دار المعارف .

(٦) الغابر: الباقى . خسف لهم من الخسيف ، وهى البئر التى حفرت فى حجارة فخرج منها ماء كثير ، وجمعها خسف ، وقوله: فافتقر أى : فاتح ، وهو من الفقير ، وهو ثم القناة ، وقوله: عن معان عور ، يعنى أن امرأ القيس من قرين ، وأن قرين فتحت لهم فسقاة زمزم ، فجعل لهم معانى عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر " العمدة ٩٤/١ .

(٧) نقد الشعر ص٢٤ والحديث لم أجده فى كتب الحديث .

(٨) العمدة ٩٤/١ والحديث فى كتاب: تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز الواسطى(ت٣٩٢هـ)ط عالم الكتب بيروت ١٤٠٦هـ ط أولى تح/ كوركيس عواد ص١٢٢ برواية: " امرأ القيس صاحب لواء الشعراء وقائدهم إلى النار " .

(٩) العمدة ٩٤/١ .

، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرب مآخذ الكلام ، فقيد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه [١] ، وهو أول من ابتكر التمثيل [٢] وإذا كان امرؤ القيس قد أجاد الاستعارة والتشبيه ، فقد أجاد فنون البديع، وفتح الباب أمام الشعراء فى استخدامها [٣] . [٤] [٥] . [٦] ، [٧] .

---

(١) العمدة ٩٤/١ طبقات فحول الشعراء ٥٥/١ الموازنة ص٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(٢) العمدة ٢٧٧/١ .

(٣) يقول ابن أبى الأصبع (ت٦٥٤هـ) فى باب الهزل الذى يراد به الجد : " والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس حيث يقول:

وقد علمت سلمى وإن كان بعلها ∴ بأن الفتى يهذى وليس بفعال

وما رأيت أحسن من قوله ملتفتاً: وإن كان بعلمها " تحرير التحبير تح/ حفنى محمد شرف ١٣٩/١ ط ١٩٩٥م المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(وفى باب صحة الأقسام يقول: " وكنت أظن أن زهيراً هو المبتدئ بصحة التقسيم حتى عثرت على قول امرأ القيس)

وليس بذى رمح فيطعننى به ∴ وليس بذى سيف وليس بنبال

فقسم بجميع آلات القتال ، ورتبها فى البيت على ما يكون عليه فى الحرب من الأفضل فالأفضل ، فتمت صحة التقسيم بجميع شروطها كما ترى "٤" تحرير التحبير ١٧٨/١ .

(٤) يقول: وهو أن يأتى الشاعر إلى المعنى فيبرزه فى عدة صور ، تارة بالاستعارة ، وطوراً بلفظ الإيجاز ، وآونة بلفظ الإرداف وحينا بلفظ الحقيقة .

(ويمثل له من شعر امرئ القيس، وهو قوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ∴ علىّ بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه ∴ وأردف أعجازاً ونآء بكلكل

ثم يأخذ فى خروج الشاعر فى معناه .

(٥) يريد أن يشرح ويوضح طرق الشاعر فى التصرف يقول: " ولا شبهة فى أن هذا إنما يأتى من قوة الشاعر وقدرته ، الرجع السابق ٤٨٤/٤ ، ٤٨٥ .

ولجودة امرئ القيس فى شعره ، وتفوقه على شعراء عصره ، ألف الآمدى (ت٣٧٠هـ) كتابه " تفضيل امرئ القيس على شعراء الجاهلية " [١] .

وإذا كان النقاد يرون أن الشاعر إذا كان راوية عرف المقاصد ، وسهل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ؛ " لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة " فقد كان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الإيادى مع فضل نحيزة وقوة غريزة [٢] .

وكان امرؤ القيس مقلا ، كثير المعانى والتصرف ، لم يصح له إلا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ، ولا ترى شاعراً يكاد يفلت من حبائله [٣] وكان أبو عبيدة يقول: " افتتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بابن هرمة [٤] .

---

(١) يقول الآمدى: " وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرئ القيس فيما بيناه من سهو أبى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط فى قافيه الذى جمع فيه سرقات الشعراء " ، الموازنة ص٣٤١ .

(٢) العمدة ١٩٧/١ ، ١٩٨ .

(٣) العمدة ١٠٥/٢ .

الخطأ فى الشعر:

أجمعت الروايات على أن اللغة العربية قبيل الإسلام بلغت أوجها ؛ لأن المتكلمين بها اختصوا بما لم يشاركهم به غيرهم من سائر الأقاليم من الفصاحة والبلاغة ، وذلك بما حازوه من العقول الصحيحة ، والأذهان الصافية ، برز ذلك فى تراثهم النثرى والفكرى الذى كان الشعر أحد مظاهره ، لذلك " قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه " [١] وكان ابن عباس يقول: " إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب ، وكان إذا سئل عن شئ من غريب القرآن أنشد فيه شعراً [٢] [٣] .

وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ، ومن بلاغة الألسنة واللدد فى الخصومة ، فقال : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [٤] . وقال : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [٥] وقال: ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [٦] ، وقال: ﴿ آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَم هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [٧] ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الأسماع بمنطقهم فقال: ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ [٨] . [٩] .

---

(١) العمدة ٧٨/١ .

(٢) الصاحبى ابن فارس تح/ مصطفى الشويمى ص٢٧٥ ط ١٩٦٣م بيروت ، وينظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ٤٧١/٢ ط١٩٨٥ القاهرة .

(٣) لأن الفصاحة تأبى عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها، ولها من هذه الأمور صفة تخصها ، فيجب اطراحها ، على أن ما ذكرته يخالف فيه فى بعض المواضع دون بعض على قدر التأويل فيه وعدمه ، سر الفصاحة ص٨٢ ، ٨٤ .

(٤) الصاحبى ص٢٧٥ ، وينظر : المزهر ١٩٨/٢ .

(٥) الخطأ فى الشعر تح/ د/ رمضان عبد التواب ص٩ ط ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م الطبعة العربية الحديثة

وكانت العرب أول من أنشأ سوقا للكلمة ، يتبارى فيه الخطباء المصاقع ، والشعراء المفلقين ، وأتى شعراء أهل هذا العصر بكل تشبيه مستحسن ، ومعنى مستغرب ، وتصرفوا فى وصف آثار الديار أحسن تصرف ، وارتفعت مكانة الشعر آنذاك ، حتى إن البيت الواحد ليرفع قوما ويخفض آخرين ، وحتى إن قول الشعر صار عنوانا للعربى ، فمما روى " قول الصينى الشاعر لبعض الأعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شعراً ، فقال له الأعرابى: ممن الرجل؟ فقال: من العجم ، قال: ما للعجم والشعر ؟ أظن عربيا نزا على أمك ، قال : فمن لم يقل منكم الشعر منشر العرب فقد نزا على أمه أعجمى !! فسكت الأعرابى [١]، والشعراء أمراء الكلام يقصرون الممدود ، ويمدون المقصور ، ويقدمون ويؤخرون ، ويومئون ويشيرون ، يختلسون ، يعيرون ويستعيرون ، فأما لحن فى إعراب ، أو إزالة كلمة عن نهج صواب ، فليس لهم ذلك [٢] ، وابن سنان يعدد جملة من الضرورات التى تجوز فى الشعر دون غيره فى الكلام ، ثم يقول فإن هذا وأشباهه ، وما يجرى مجراه – وإن لم يؤثر فى فصاحة الكلمة كبير تأثير – فإننى أوثر صيانتها عنه ؛ [٣] .

أما ابن فارس فإنه يذكر أنه لا معنى لقول من يقول: إن للشاعر أن يأتى فى شعره بما لا يجوز ، فإن الله لم يجعل الشعراء معصومين يوقون الخطأ ، ويقرر: أن ما صح من شعرهم فهو المقبول ، وما أبته العربية فهو مردود [٤] ، وإذا كان ابن فارس يبرر لوقوع الخطأ من الشاعر بأنه ربما يكون متهمكا ومشغولا بموسيقى شعره ، وأنغام قوافيه ، فيقع فى الخطأ من غير شعور منه [٥] ، فإن مراجعة شعره ، ونقده نقداً ذاتيا كما كان يفعل أصحاب الحوليات كفيل بتجنب ذلك .

---

(١) العمدة ٧٨/١ .

(٢) الصاحبى ابن فارس تح/ مصطفى الشويمى ص٢٧٥ ط ١٩٦٣م بيروت ، وينظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ٤٧١/٢ ط١٩٨٥ القاهرة .

(٣) لأن الفصاحة تأبى عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها، ولها من هذه الأمور صفة تخصها ، فيجب اطراحها ، على أن ما ذكرته يخالف فيه فى بعض المواضع دون بعض على قدر التأويل فيه وعدمه ، سر الفصاحة ص٨٢ ، ٨٤ .

(٤) الصاحبى ص٢٧٥ ، وينظر : المزهر ١٩٨/٢ .

(٥) الخطأ فى الشعر تح/ د/ رمضان عبد التواب ص٩ ط ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م الطبعة العربية الحديثة

أما وقوع الضرورات فى أشعار القدامى ، فقد برره أبو على الفارسى المعروف بالشلوبين (ت٦٤٥هـ) بقوله: " وإنما استعملها القدماء فى أشعارهم لعدم علمهم كان بقياحتها، ولأن بعضهم كان صاحب بداية والبداية مزلة " [١] ، وأوصى الشعراء بتجنب ارتكاب الضرورات وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية ، لأنها قبيحة تشين الكلام ، وتذهب بمائه " ولا يقال إن الشاعر قد يخطئ فى ألفاظه ، لكنه لا يخل بشئ من مقاصده ؛ لأن المقاصد وإن كانت مفهومة بالقرائن فى بيان الفاعل والمفعول، إلا أن فهم المعانى بالقرائن الحالية لابد من جريها على القوانين الإعرابية، وعلى ما هو معهود فى ألسنة الفصحاء ، ومجارى كلماتهم التى ورد بها القرآن ، وجاءت به السنة النبوية من مطابقة الأوضاع اللغوية والقوانين الإعرابية "[٢] .

وإذا قامت الأدلة على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامهم أكثر ، والأمثال التى ضربت أجود وأسير [٣] ، فإن من تبحر فى كلام العرب ، وعرف أساليبه الواسعة ، ووقف على مذاهبه القديمة ، فإنه إذا ورد عليه منها ما يخالف المعهود من لغة أهل زمانه لم يسرع إلى النكير فيه ، أخبر أبو عمر عن أبى العباس قال: قال ابن الخطاب: أنحى الناس من لم يلحن أحداً [٤] ولهذا قال ابن أبو الاصبع: " والتأويلات أوسع وأفسح من أن يخطئ معها عربى متقدم فى لغته التى وضعها وهو أعرف بمواقعها منا " [٥] ، وطريق العرب القدماء فى كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق وأشكل بأهله [٦] . وباب الشعر أوسع من أن يضيق عن مثله [٧] ، ولا تكاد

(١) كتاب الصناعتين تح/ مفيد قميحة ص١٦٨/١ ط ثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) كتاب الطراز . يحيى بن حمزة العلوى تح/محمد عبد السلام هارون ١٦ ط أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) ينظر البيان والتبيين ٢٩٥/١ ، سر الفصاحة ٥١ .

(٤) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص٤٦ ، ٤٧ .

(٥) تحرير التحبير ٣٥٣/٤ ، وبديع القرآن تح/، حفنى محمد شرف ص٢٤٥ ط نهضة مصر للطباعة .

(٦) العمدة ٣٠١/١ .

(٧) الوساطة بين المتنبى وخصومه القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى تح/ هاشم السادلى ص٣٩٨ دار إحياء الكتب العربية

تجد بابا من العربية يخلو من نوادر وشواذ ، ولو جعلت أصولا وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الكلام [١] [٢] .

وتصدى عالم العربية سيبويه (ت١٨٠هـ) للتوجيه والتأويل لما أخذه النقاد على الشعراء ، وصنع لذلك بابا خاصا فى الكتاب ، وقال: " وليس شئ يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها وما يجوز فى الشعر أكثر من أن أذكره " [٣] ، ويصرح الآمدى بأن أكثر ما أخذه العلماء على الشعراء صحيح ، والسهو فيه إنما دخل من الرواة [٤] معنى هذا أن أخطئة الشاعر فى لغته أو معانيها أو الوزن والقافية وهى أسس لمادة الشعر ليس أمرا هينا ، وعلى الناقد أن يتحسس وجوه التأويل ولا يسارع بالقدح ، فإذا أعياه ذلك فلا بأس أن ينسب العلة إلى الشاعر وأنها خفيت عليه .

(١) المرجع السابق ص٤٠١ .

(٢) يقد قال عمر بن الخطاب حينما سأله سائل: أيضحى بالشى؟ قال: وما عليه لو فعلت: أيضحى بالمراقال : انها لمة . قال: فضحى الخطاب !! يضحى بالشى من الوحش [ذيل الأمالى أبو على القالى ص١٤٢ منشورات دار الآفاق الجديدة] . بيروت فإذا فعلام قريش والألفاظ المستكرهة لم تعجب عمر رضى الله عنه ، وإنما علم أنها لغويا من لهجات العرب أخرين المواجهة ، ولذلك لم يعترض فيما عن على رضى الله عنه ولو قال: لا يضحى ولم يقل : يضحى فما قال الآخرين [النقد العربى القديم دراسة والتاريخ/ عبد الله محمود حسن محمود ص٢٠٨ ، ٢٠٩ ط١ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م مطبعة الأمانة]

(٣) الكتاب ١٧/١ ط ١٤١٩ ، ١٣١٧هـ بولاق .

(٤) الموازنة ص٣٧٨ ، ٣٧٩

المبحث الأول

نقد الألفاظ

الألفاظ هى مادة لغة الشعر الأساسية ، وهى أرواح تختزن بداخلها مشاعر وأحاسيس ، وهى بتفاعلها مع غيرها داخل السياق اللغوى قادرة على منح بعضها البعض دلالات وفاعليات خاصة ، وتمثل نسيجا متشعبا من صور ومشاعر أنتجتها التجربة الشعورية ، وعليه فهى وسيلة استبطان واكتشاف ومن غاياتها أن تثير وتحرك الوجدان وتهز الأعماق ، لذلك أجمعت الروايات على أن الشعر العربى كان ينشد فى الأسواق العربية قبل الإسلام فيهز قلوب السامعين ، ويطرب القوم لموسيقى الشعر ، لهذا كان على الشاعر أن يحسن اختيار ألفاظه ، ويراعى معانيها وإيحاءاتها، وموضعها المناسب لتؤدى الدور المنوط بها أداء يفى بالغرض ويحقق الجمال [١]، وكانت جهود العلماء فى هذا المجال مثمرة ، فقد صور الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الكلمة باللبنة التى يقام منها البناء، وعلى قدر ما فيها من حسن يكون البناء حسنا[٢] . وشرط ابن سنان (ت٤٦٦هـ) لفصاحة الكلمة أمورا تناقلتها كتب البلاغة [٣] ، وجاء ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)فجعل الألفاظ طبقات ، ووصف المقبول منها بالوضوح البين، وبالحلاوة فى الفم ، والسهولة فى النطق ، والبعد عن الغرابة والثقل والاستكراه [٤] .

وتوالت الجهود من النقاد العرب فى دراسة الكلمة حتى انتهت إلى مبادئ ناضجة منها:

---

(١) ينظر : أسرار البلاغة : الإمام عبد القاهر تح/ محمود شاكر ، ص٨ ط المدنى .

(٢) ينظر : المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبيين د/ فوزى السيد عبد ربه ص١٧٠ ط دار الثقافة .

(٣) ينظر: سر الفصاحة ص٩٩ وما بعدها .

(٤) ينظر: المثل السائر تح/ محمد محى الدين عبد الحميد ١/١٧٢ وما بعدها ط المكتبة العصرية بيروت .

١- السهولة:

ونعنى بها ألا تكون الكلمة مكونة من حروف متنافرة يصعب على اللسان النطق بها مقياس من المقاييس التى اعتنى بها نقاد العرب ، وبذلوا غاية الوسع فى شرحه والتمثيل والبحث عن الأسباب التى من أجلها يحدث الثقل على اللسان فى نطق بعض الكلمات [١] .

فابن الأثير يذكر ضرورة أن تجتنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء أكانت طويلة أو قصيرة ويذكر قول امرئ القيس :

غدائره مستشزرات إلى العلى ... تضل المدى فى متنى ومرسل

ويعلق عليه قائلا : " فلفظة " مستشزرات " مما يقبح استعمالها ؛ لأنها تثقل اللسان ، ويشق النطق بها ، وإن لم تكن طويلة ، لأن لو قلنا : " مستشزرات " مستنفرات " على وزن " مستشزرات " لما كان فى تاتين اللفاتين من ثقل ولا كره [٢] .ولربما اعترض بعض الجهال فى هذا الموضع وقال: " إن كراهة هذه اللفظة إنما لطولها ، وليس الأمر كذلك ، فإنا لو حذفنا منها الألف والتاء وقلنا " مستشزر " لكان ثقيلاً أيضاً ، وسببه أن الشين قبلها تاء ، وبعدها زاى ، فثقل النطق بها ، ولا لو عوضاً من الزاى راء ، ومن الراء فاء ، فقلنا " مستشرف " نال ذلك الثقل. [٣]

والخطيب (ت٧٣٩هـ) يشترط لفصاحة المفرد خلوصا من تنافر الحروف ومخالفة القياس اللغوى ، ثم يقول: " فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متنافية على اللسان ، وعسر النطق بها ، كما روى أن أعرابيا سئل عن ناقته فقال: ترغاها [٤]

---

(١) أسس النقد الأدبى عند العرب د/ أحمد بدوى ٤٥٧ ، ٤٥٨ ط نهضة مصر للطباعة ، وينظر الكشف فى إعجاز القرآن ص٢١ ، ٢٢ ، البيان على بن خلف تح د/ حسين عبد اللطيف ص٢٤٥ ، سر الفصاحة ص٩٧ وما بعدها ، المثل السائر ١/٨٣، ٨٤ ، مفتاح العلوم السكاكى تح/ عبد الحميد هنداوى ص٥٢٦ ط أولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) [المثل السائر ١/١٩١، ١٩٢] .

(٣) وذلك قال بعض علماء البلاغة : " وكان فى مقدور امرئ القيس ، وهو صاحب هذه الصنعة أن يقول : مستشرفات ، لتكمل هذه الصورة البديعة التى رسمها ، فيكون قد عرفها بدلة ما هو قليل يستشرفها ، وقلبى أن فيه ما هو أيضا فى قوة ما هو مستشرف فى قوة واقعة بينه وبين هذا فيه .

(يقع ، ومنه ما هو دون ذلك كافظ مستشزر فى قول امرئ القيس [1] .
(الطويل)

وفرع يزين المتن أسود فاحم ∴ أثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلى ∴ تضل المدارى فى مثنى ومرسل [2]

يشبه فرعها بقنو النخلة المتراكم فى الكثافة ، فالخطيب يذكر أن كلمة " مستشزرات " متنافرة الحروف ، ولذا فهى ثقيلة على اللسان ، وسبب الثقل هو انتقال اللسان من الحرف المهموس الشديد " التاء " إلى المهموس الرخو " الشين " إلى المجهور الراء ، مما أوجد عناء وثقلا على اللسان لا يخفى ، وعليه فالكلمة غير فصيحة ، ويقابل شراح التلخيص كلام الخطيب ، دون أن يعلقوا عليه [3] .

وإذا رجعنا إلى سياق الشاهد نجد صاحبه يريد أن يرسم صورة جميلة لشعر هذه الفتاة ، فجعل منه ما هو كثيف مسترسل ، دل عليه بقوله " أثيث" وأصاب فى ذلك أيما إصابة ، كما جعل منه ما هو مستشرف إلى العلا دل عليه بقوله:" غدائره مستشزرات إلى العلا " وغير أن الأمشاط تختفى فى هذا الشعر لكثافته ، وكلمة " مستشزرات " عبرت عما أراد الشاعر بتصوير ، لأنه يصف الشعر فى طوله وكثافته وتداخله وتشابكه ، لذلك عمد إلى التعبير بجرسها هذا التشابك والتداخل ، فكلمة " مستشزرات " تداخلت أصواتها ، وتلاقى صوتا التاء والشين يختفيان بين صوتى الزاى والسين ، ولذا فهى كلمة تناسب السياق الذى وردت فيه ، وهو يستدعيها ، ويلح عليها ، فجاءت معبرة عن مراده ، ومؤدية فى قوة ، يقول الأستاذ الدكتور/ أبو موسى: " كلمة مستشزرات حكاية لأصواتها ، أى أن التفشى الذى نلحظه فى صوت الشين، وانتشار الهواء وامتلاء الفم

---

(١) ديوانه ص١٧ والرواية : وفرع يغشى .
(٢) الشاهد فى : ط دار الجيل = بيروت ، الفرع: الشعر ، المتن: الظهر ، الأثيث: الكثير ، القنو: العنقود ، المتعثكل: الذى فى القنو: الذوائب ، المستشزرات: المرفوعات ، المدارى: الأمشاط ، المثنى: المفتول ، المرسل: غير المفتول .
(٣) ينظر: شروح التلخيص ٧٦/١ .

به حين النطق يشبه إلى حد كبير انتشار الشعر وتشعيثه وذهابه هنا وهناك " [1] وعلى هذا فالشاعر كان موفقا فى اختيار ألفاظه ، وكان فى مقدوره استبدال هذا اللفظ بلفظ أقل ثقلا مثل: مستعليات ، أو ما شابهه ، لكن لفظ " مستشزرات " أدل على المعنى ، وأحكم فى الدلالة على مقصود الشاعر .

٢- موافقة القياس المطرد:

وهو مقياس من أهم المقاييس عند طائفة من نقاد العرب ، وهم طائفة النحاة الذين أخذوا يقفون بالمرصاد للشعراء ، يحصون عليهم ما يقعون فيه من أخطاء ، يخالفون بها القواعد المرسومة فى علم النحو ، وكثيراً ما كانت تحدث الخصومات بين الشعراء والنحاة إذا وقع الأولون فى خطأ نحوى [2] ،فإن خالف الشعر قواعد النحو ، عرف عند البلاغيين بـ " ضعف التأليف " وإن كان استعمال الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع سواء وافقت القياس الصرفى أو خالفت عرف ذلك عندهم بـ " مخالفة القياس " ، ومن الأخطاء النحوية التى أخذها النقاد على امرئ القيس قوله: (الطويل)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوى بين الدخول فحومل [3]

يقول الآمدى: " والأصمعى يرويه بالواو ، وأهل العربية يقولون: الدخول مواضع متفرقة ، وأكثر الشعراء يستعملون الفاء فى هذا الموضع " [4] وهذا النقد على وجازته قد احتوى على الشبهة وتوجيهها،وتتلخص الشبهة فى عطف"حومل" على " الدخول " بالفاء ، والقياس العطف بالواو ، فاستعمال الفاء هنا خطأ ، والسر فى ذلك أن كلمة " بين " إنما تضاف إلى متعدد لفظاً ومعنى ، نحو قولك: جلست بين محمد وعلى ، أو معنى دون

---

(١) خصائص التراكيب ص٣٣
(٢) ينظر: نقد الأدبى عند العرب ص٤٧٠ وينظر: الموشح المرزبانى ت/ على محمد البجاوى ص١٠٢ ط دار الفكر العربى . الشعر والشعراء ابن قتيبة ص١١ ، ١٢ (مطبعة النوح الأدبية سنة ١٣٣٢هـ .
(٣) الديوان ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ص٨ ، وروايته بالواو .
(٤) الموازنة ص١٠٤